مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 20 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2024 الصفحات 267- 280

التجريب في الخطاب الرحلي المعاصر: قراءة في الصورة والمحتوى السياحي.

The Impact of Globalization on the Travel Writing Genre: A Descriptive Aesthetic Approach

سارة حميدو [1]،* كريمة بلخامسة [2]

[1] جامعة مولود معمري (الجزائر)، *sara.hamidou@ummto.dz*
مخبر تحليل الخطاب.

[2] جامعة عبد الرحمان ميرة (الجزائر)، *karima.belkhamsa@univ-bejaia.dz*
مخبر تحليل الخطاب.

تاريخ الإرسال: 15/ 07 / 2024 تاريخ القبول: 06/ 11 /2024

الملخص:

تدرس هذه الورقة البحثية الأثر الذي تركته العولمة من حداثة على الكتابة، بالتحديد في فن الرحلة الذي يعتبر مجالًا رحبًا للتجريب الإبداعي، وهو ما أثبتته حركة هذا الشكل الأدبي، وقدرته على التماهي والالتفاف وتهدف الدراسة إلى تحليل ذلك من خلال إظهار آليات التجريب المعولم داخل النص الرحلي المعاصر، بالإضافة إلى تقاطع ذلك مع فعل الوسائط الحديثة والعالم الافتراضي، معتمدين في ذلك منهجا وصفيا جماليا منطلقين من الإشكالية التالية: إلى أي درجة استطاعت العولمة التأثير في تجريب الرحلة المعاصرة؟

الكلمات المفتاحية:
أدب الرحلة؛
التجريب؛
العولمة؛
الصورة المرئية؛
المحتوى السياحي؛

ABSTRACT:

This study investigates the influence of modernity through globalization in the travel literature, particularly focusing on the art of journey, known for visual image use and its wide scope of creative exploration. The research aims to explore this phenomenon by examining the ways in which globalized experimentation in the tourism content manifests in the modern travel texts, including its interaction with modern media and the virtual realm. Employing a descriptive aesthetic approach, the study tackles the central question: To what extent has globalization impacted the contemporary journey experience?

Keywords:
Travel literature , experimentation , globalization , visual image , tourisme content,

* سارة حميدو.

1. مقدّمة:

إنّ أدب الرّحلات من الفنون الأدبيّة التي شاعت لدى العرب منذ القديم، ارتحلوا وجابوا الأمصار والأصقاع، واشتهر منهم كثيرون مشرقًا ومغربًا أمثال: ابن جبير وابن بطوطة والإدريسي وغيرهم، إذ نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السّابقة، وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب، عاملها المؤرخون على أنّها نصّ تاريخيّ يحتوي على معلومات غامضة عن الأراضي الوهميّة، بينما ينظر إليها الجغرافيون كمصدر للمعرفة الجغرافيّة عن الأماكن التي مرّوا عليها، ويجد علماء الإثنوغرافيا رؤى قيّمة في ثقافات الأشخاص الذين وصفهم الرّحالة، ويتعمق الباحثون في تاريخ الأفكار لفهم الثّقافة الذّاتية التي يصوّرها الرّحالة بمقارنتها بثقافة الغير، ويجد فيها الدّارس الأدبيّ أنماطًا وأنواعًا أسلوبيّة متأثّرة بالسّياقات الاجتماعية والثّقافيّة التي عايشها الرّحالة يلبي هذا الجنس من الأدب مبتغى هؤلاء للبحث عن معلومات ومعرفة غنيّة ضمن محتواه.

عرفت الرّحلة العربيّة خطوة جديدة كانت منعرجاً حقيقياً في مسارها عند احتكاك الرّحالة العرب بالحضارة الغربيّة وتفاعله معها، وحوّلوا تركيزهم من المشرق والمغرب العربيّ إلى أوروبا، واتّصلوا بالحياة الأوربيّة وإفرازات الثّورة الفرنسيّة، واقترحوا الأخذ بإيجابياتها، مع التّأكيد على الفروقات بين الحضارات الأوروبيّة والعربيّة الإسلاميّة، إلّا أنّ هذا الاتّجاه قد اكتسب تغييرا جذريًّا كذلك؛ بحيث عرف أدب الرّحلات نقلة نوعيّة من خلال التّجريب بما يتجاوز المعايير التّقليديّة، إلى جانب العديد من الأنواع السّرديّة المختلفة كالرّواية والمسرح، وعلى إثر هذا تغدو الرّحلة مغامرة متطوّرة لاستئصال ماهيتها من الكلاسيكيّة لتحتضن معايير تجريبيّة جديدة.

ممّا لا مراء فيه أنّها أضحت في الوقت الرّاهن أنموذج الثّورة على الجنس الأدبيّ القائم على البنى الذّهنيّة والصّور النّمطيّة، لتشرع في نظام جديد من العلاقات ضمن سياقات محدثة تجريبيّة تكسر بنيّة النّص الرّحليّ الكلاسيكيّ، لكن هذا لا يعني إحداث قطيعة مع التّجربة الإنسانيّة والمرجعيّات المعرفيّة السّابقة، وهذا التّواشج يرسم لنا انسجاما فنيًّا متكاملًا في النّتاج والإبداع، معتمدة في ذلك آليات التّجريب واستثمار وسائله، ونظريّاته من خلال فتح آفاق لقراءات جديدة، ورصد بناءاته النّسقيّة، ليعتكف الدّارس لها على تحليل ميكانيزماتها التي تنتج المضامين التّجريبيّة التي تفرضها معطيات العصر من خصوصيات تحولاته وصيرورته.

نسعى في هذا البحث إلى الكشف عن آليات التّجريب وجماليّاته في الرّحلة المعاصرة، محاولين في ذلك تلمّس خصائص الكتابة الرّحلية التي تميّزه عن الأجناس الأدبية الأخرى، ننطلق فيه من إشكاليّة مفادها: هل تجسّد آليّات التّجريب تحوّلا مختلفا في الرّحلة العربيّة المعاصرة؟ هل استطاعت الرّحلة أن تنتقل من الخطيّة إلى عالم ديناميكيّ تتفاعل فيه مختلف شروط الحياة؟ وهل يتّبع رحّالة هذه الأيّام خطى رحّالة الزّمان القديم؟ وانطلاقا من هذه التّساؤلات تسعى الدّراسة إلى قراءة في نصوص رحليّة معاصرة، ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا الموضوع شهد عزوفًا من طرف الباحثين إلى أنّها قد تأسّست بحوث جادة في هذا الخصوص نذكر منها:

- كتاب محمد المسعودي المعنون بـ: الرّحلة ما بعد كولونيالية في الأدب العربيّ المعاصر.
- مجلة أوراق مجمعية، العدد 11، عدد خاص عن أدب الرّحلات.

2. الرّحلة العربيّة في الوقت الرّاهن:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الرّحلة العربيّة شهدت تحوّلات مختلفة على مختلف الأصعدة، وساهمت في النّهضة العربيّة من خلال تحقيق التّواصل بين الأمم، وتصاعدت وتيرة الإبداع فيها واعتمدت أساليب حديثة للكتابة ونشرها، وكثر الرّحالون وتعدّدت اهتماماتهم واختلفت أهدافهم، وإنّ النّاظر بموضوعيّة إلى النّتائج المستخلصة من الرّحلة في العهود الماضية يجد أنّها قد سلّطت الضّوء على الجوانب الحاسمة المتعلّقة بوعي الذّات والآخر والاعتراف بالقواسم المشتركة بين الحضارات، ولعلّ من أهمّ الإشكالات التي طرحها هذا الأدب هو تقدّم الآخر، وفي المقابل تخلّف البلدان العربية، ما جعل مصطلح الصّدمة الحضاريّة يتّخذ من النّص الرّحلي القديم تربة خصبة له، فدلالة الصّدمة إذن هي "أنّ الذّات تكتشف أنّ ما ينقصها من أسباب القوة والنّصر يوجد عند الآخر"[1]، وهذا الاتّجاه أفرز الخلاف والاختلاف الذي بدوره ساهم في الانبهار بالآخر المتفوّق وتبني أطروحاته، واحتقار الذات لضعفها وعجزها، ولعلّ هذا الانبهار والإعجاب سرعان ما تمّ استغلاله لتنظيم الحياة وإصلاح أحوال البلاد العربيّة التي تشهد تخلّفًا تامًّا، من خلال قبول الآخر حضاريًّا وفكريًّا وثقافيًّا بلا قيد ولا شرط، فتناول الآخر ما هو إلّا تصوير للذّات " فإن كانت الرّحلة في بلد الغير وفي ثقافته وأحواله فهي بالأساس رحلة نحو الذّات، بحكم أنّ ما يشاهد وما يوصف لا ينمّ إلا عن المقارنة مع الذّات بشكل من الأشكال"[2].

غير أنّ الرّحلة المعاصرة حاولت كسر المألوف، وحملت تصويرًا مغايرًا عمّا كان سائدًا عن اعتمال ثنائيّة الأنا والآخر، يتعلّق الأمر بالغوص في ثقافة الآخر وملامح هويّته والكشف عن حضاراته والمسكوت عنه دون الانغلاق على الذّات، بتفكيك النّماذج والمبادئ الخاطئة التي تروّج لها القوى الغربيّة لتعزيز أجندتها الاستعماريّة؛ إذ تُعدّ الرّحلة المعاصرة شكلًا من أشكال السّرد المضادّ، الذي يهدف إلى مواجهة التّرهيب الغربيّ من خلال معالجة القضايا الملحّة.

وإذا كانت الرّحلة القديمة قائمة على دوافعَ ذاتيّة معرفيّة سياسيّة سفاريّة فإنّ المعاصرة أغلب دوافعها كانت قسريّة إلى حدّ كبير بالأفراد الذين هاجروا أو تمّ نفيهم بسبب الاضطرابات السياسيّة التي شهدتها مختلف المناطق العربيّة من أشكال جديدة للعدوان السلطويّ، لذا اتّسمت بمساءلة التّاريخ وحملت مظاهر التّعبئة السياسيّة التي تشهدها مختلف البلدان العربية، وهذا لمناقشة الأوضاع التي تصوّر الهويّات الفرديّة والجماعيّة، ولعلّ هذا الكلام يدلّ على وعي المثقّف في تحرّي الجغرافيّات الذّهنيّة، وبالتالي تحمل الرّحلة المعاصرة وجهات نظر نقديّة جديدة حول واقعنا الرّاهن، وحول علاقاتنا بالآخر، والجهود المبذولة لتجاوز إرث الاستعمار في الدول العربية وسط تحدّيات العصر الحالي.

سعيًا منّا لإرساء فهم واضح لمصطلح التّجريب في النّصّ الرّحليّ المعاصر، وصلنا إلى التّأكد من أنّ هذا النّصّ الرّاهن سلّط الضّوء على العديد من الظّواهر والقضايا والتّحدّيات الإنسانيّة الجديدة التي لم تكن مرئيّة من قبل، ومع ظهور العولمة وتوسّعها في جميع أنحاء العالم وتغلغلها في إنتاجات هذا الفن، أدّى إلى خرق الرّحلة التّقليديّة وانتهاكها، بحيث "اكتسب مصطلح التّجريب دلالات أخرى ربطته بالبحث عن أشكال جديدة تكسر المتواليّة وتتمرّد على القوالب الكلاسيكية"[3]، سواء كانت الرحلة موجهة نحو الغرب أو الدول العربية، فإن ذلك يعكس تحولًا كبيرًا في

الطريقة التي نقرأ بها هذه النصوص ونفهمها. فجدّتها تميل إلى التحرر من قيود الشكل الكلاسيكي وما يفرضه من عناصر وخصائص فنية ثابتة، مما يتيح لها الانخراط الفعّال في مجالات متعددة مثل الأدب (المسرح، الرواية السيرة الذاتية...) والآداب غير الأدبية (كالصور، الفيديو، ووسائط الميديا). وعندما تستند الرحلة إلى أسس التجريب والإبداع المعاصر، فإنها تتحول إلى واقع مشترك، يبنى على اللغة والسرد. فإنّ الرّحلة حينما تقوم على قاعدة التّجريب والإبداع المعاصر تمسّ تطوّر الرّحلة إلى واقع مشترك أساسه اللّغة والسّرد إذ شكّل التّجريب عنصرًا جوهريًّا في التّجارب الرّحليّة على وجه العموم، ما ساهم في التّعدديّة الإنتاجيّة للنّصّ الرّحليّ، وهو ما يؤكّد على حيويّة أفق التّجريب، ولتعميق الرؤية نستشهد برأي الخرّاط الذي جعل الأدب يمثّل بالحساسيّة الجديدة أي أنّ الأدب: "يظلّ متمرّدًا داحضًا هامشيًّا ومقلقًا ... من أجل سعي مستمرّ إلى قيم (جماليّة وثقافيّة واجتماعيّة) متجدّدة، دائمة التّجدّد وليست فقط جديدة"[4]، نستشفّ من هذا المحفل سمات التّجريب كما نفهمه، بما هو نظريّة مفتوحة الأطراف، في تجاوز مستمرّ، لا ثابت فيها ولا مستقرّ، وهي نقطة التّحوّل الحاسمة في مسارات الحساسيّة الجديدة وتأكيدها، وإنّ إسقاطنا للتّحول الرّحليّ على قول الخرّاط يجعلنا نؤكّد الواقع الجديد الذي جعل اتّجاه التّجريب في الرّحلة يرتبط بأسئلة العولمة من نقطة اللّامحدوديّة، فكلاهما يقومان على صفة الانفتاح، وكون الرّحلة تعزّز مبدأ التّجديد من جهة والقراءات الإبداعيّة من جهة أخرى والتّواشج بين مختلف الخطابات، فهي لا تعني بالضّرورة التّخلّي عن محدّداتها القبليّة وثوابتها؛ إذ إنّها دخلت مرحلة جديدة من الحداثة من خلال تجريب التّعبيرات الفنيّة المبتكرة التي استحوذت على اهتمام النّقاد، ومكّنت هذه الظّاهرة المتلقّي من التّفاعل مع الاتّجاهات المتطوّرة للعصر والتّكيّف معها، ونتيجة لذلك، تمّ غرس سرد النّصّ الرّحليّ بروح التّجريب، ممّا عزّز بيئة ديناميكيّة للاستكشاف الإبداعيّ والمساعي التي تتخطّى الحدود.

تعدّ الطّفرة التّكنولوجيّة أهمّ محرّك متنامٍ لهذه التّغييرات، التي فتحت المجال لأساليب الاتّصال الحديثة والمنصّات الاجتماعية أن تلعب دورًا محوريًّا مهمًّا في تحريك وعي جديد، لإعادة تشكيل السّرديّات التّقليديّة من خلال ربطها بوجهات نظر محدثة وتكييفها مع الدّيناميكيّات المتطوّرة للوسائط المرئيّة وتبني التّكنولوجيا الرّقميّة. وقد مهّد هذا التّحوّل الطريق لظهور التّجريب الافتراضيّ كوسيلة لنشر أشكال جديدة من المعرفة، وتعزيز نهج حداثي للكتابة الرّحليّة؛ بمعنى تطوير نصّ يمزج أدب الرّحلة المعاصر بالابتكارات الرّقميّة المتطوّرة، بحيث أنّ: "فرادة هذه الوسيلة الاتّصاليّة تكمن في الوقت نفسه في مزجها بين أشكال مختلفة من التّعبير ومن التّصوير ومن الاتّصال، هذه الإمكانيّة التي تقدّمها للإبحار وفق الرّغبة من شكل إلى آخر، والانزلاق كما نريد وفي الوقت الذي نريده وفق نمط سدّد واكبس"[5]، وقد أدّى هذا النّهج المبتكر إلى دمج العناصر التّفاعليّة والرّقميّة في أدب الرّحلة ممّا أدّى إلى ظهور أدب رحليّ متعدّد الوسائط، تمّ دمج تشكيلات لغويّة مختلفة في نسيج أدب الرّحلة لتعزيز تجربة القارئ وخلق شعور متزايد بالمشاركة، ليتبيّن لنا أنّ هذا التّقارب بين العناصر الحسيّة والبراعة التّقنيّة أدّى إلى طمس الحدود بين الممارسات التّقليديّة والرّقميّة.

أضحى أدب الرّحلة يواشج الكتابة الورقيّة مع وسائل الاتّصال المختلفة، حيث بدأ يدمج الصّورة لتقريب المتلقّي من المشاركة في فعل الرّحلةِ ضمنيًّا وتزامنًا مع هذه التطوّرات، ظهرت مفاهيم جديدةٌ للكتابة التي اقترنت بالصّورةِ المرئيّةِ — الفوتوغرافيّةِ — التي أصبحت عاملاً محوريًّا للتّجريب في النّصّ الرّحلي، وتتّفق مع هذا الرّأي الباحثة سعادة ثروت محمد ناصب حيثُ تشيرُ إلى "تعدّد الآليات التي تعين الكاتب على التّعبير عن الفكرة سواء بالكلمة أو آليات أخرى مثل الصّور الثّابتة أو المتحرّكة، الخرائط، الفيديو والموسيقى وغيرها ممّا عرف باسم (الثّقافة البصريّة)"[6] وبذلك، تؤكّد أنَّ الصّورة المرئيّة قد لعبت دورًا محوريًّا في تشكيل المشهد التجريبيّ لأدب الرّحلات، لقد قدّم هذا الدمج بينَ النّصّ والصّورة طرقًا جديدةً للتعبير الإبداعيّ، ممّا مكَّن الأدب الرّحليَّ من تخطي حدود الأشكال السّرديّة التقليديّة، وأسهم في إثراء التجربة السّرديّة بشكلٍ عامّ.

تنهض هذه الاستراتيجية كذلك من خلال ظهور صانعي المحتوى الهادف، من خلال انخراطهم في وسائل الميديا ووسائل التّواصل الاجتماعي؛ إذ أصبحت الخيار المفضل للعديد من المهتمين بأدب الرّحلة، نظرًا لسهولة الاستخدام والنشر السلس للمعلومات والمعرفة التي تقدّمها هذه الوسائل، والواقع أنّ استخدام منشئي المحتوى هؤلاء التكنولوجيا بشكل فعّال يسعى لتحسين تجارب الارتحال الخاصّة بهم، ويمكّنهم من مشاركة طبيعة محتواهم مع المتلقّي بسهولة – سواء كان ذلك مقالًا مكتوبًا أو وسائط مرئيّة – بطريقة أكثر تفاعليّة وديناميكيّة، وبالتّالي إحداث ثورة في مجال أدب الرّحلة المعاصر.

3. عولمة النّصّ الرّحلي:

ظلّت الرّحلة تستفيد من كافة الخطابات على مرّ العصور، فتاريخها قائم على القوّة والحيويّة، ما جعلها في استمراريّة دائمة، حيث واظب هذا الفن على التّجديد وخلق الخصوصية والاندماج مع الوعي السّائد في كلّ فترة مرّ بها، يشير هذا بوضوح إلى أنّ الرّحلة تتمحور حول المشترك والمتحرّك في التّبادل والتّثاقف، وتتجاوز أيّ حدود للخصوصيّة أو الجغرافيا؛ وبالتالي يمكن فهمه كفنّ من فنون الأدب الذي له امتداد عوليّ بخصائص فريدة، ويمكن القول إنّ هذا الجنس الفنيّ هو أحد أسرع الأجناس عولمة مقارنة بأجناس الأدب القديم، لأنّه يتجاوز الحدود دون عناء، وقد استطاعت من وجهة ثانية أن تتضمّن التّغييرات الثّقافيّة للآخر وتجليّاته المختلفة وسرديّته الاجتماعيّة الكبرى وهواجسه الصّغيرة كذلك.

ومن هنا يبرز السّؤال الحاسم: هل هناك رحلة جديدة ترتكز على العولمة؟ ستبدو الإجابة جليّة على هذا السّؤال في أنّ الرّحلة تجسّد جوهر الفنّ في هذا العالم المترابط عبر تطوّره المستمر؛ وحتّى عندما تنتقل وتتكيّف مع الظّروف المختلفة والفروق الثّقافيّة الدّقيقة، فإنّها تحافظ على مبادئها وأصولها التّأسيسيّة، إلى جانب دمج التّطوّرات التّكنولوجيّة، لكن ليس من السّهل أن نقول هناك عمليّة تشريح الرّحلة في زمن العولمة، فقبل ذلك علينا التّأكّد من قابليّة هذا الفنّ في التّأقلم مع مستجدات العولمة، وهل هو قادر على استيعاب الثّورة الرّقميّة؟ فهذه التّساؤلات التي تثار تدفعنا للحديث عن احتماليّة دخول الرّحلة في عالم الكتابة الزّرقاء، والتي أفرزت جنسا جديدا طبيعيًّا تابعًا لمنطق التّحوّل المعرفيّ، بالانتقال من هيمنة العقل العقلاني إلى العالم الرّقمي، تتبنّى أساليب مبتكرة وأشكالًا متنوّعة

من التّعبير من خلال استخدام الوسائط الافتراضيّة والهياكل الإعلاميّة المعاصرة. لذلك، تعمل الرّحلة كسرد ثقافي يساهم بنشاط على تفكيك عمليّة العولمة، وفي الآن نفسه تحاول الاستفادة منها لتعزيز وتحويل محتواها وتطوير أنماط التّعبير عنها.

في هذا المضمار، يمكن الحديث عن العولمة التي شكّلت جزءًا مهمًّا من السّرد؛ إذ جاءت ضمن سياقات التّطوّر، التي تستند إلى فكرة العقل التّواصلي، أي في الأساس، يهدف التّحوّل من التّفكير النّظري إلى العقلانيّة التّواصليّة – الرّقميّة بطبيعتها – إلى تنشيط وتجديد التّفاعلات الثّقافيّة بين الذّات والآخر، وتحدّي المفاهيم الحاليّة التي تنمّ عن تبجيل الذّات وتهميش الآخر، فعلى الرغم من اختلاف وجهات النّظر التي تؤكّد أنّ العولمة تقوم بكسر الأنماط الهوياتيّة والتي نادى بها الكثيرون كونها آليّة يمارسها الغرب لاستتباع العرب له، ويشير الباحث (براجل علي) إلى هذا الرّأي في قوله: "ظهور العولمة جاء نتيجة لمؤامرة معقّدة عميقة ومتجذّرة ضمن انحدارات تاريخية وأيدلوجية"[7] والواضح أنّ هذا ما هو إلّا تأكيدًا على أنّ العولمة سلسلة متّصلة بالتّاريخ الاستعماري المتعاقب، ممّا يدلّ على استمرار الموروثات الاستعماريّة في شكل مغاير، متحوّلًا من الهيمنة السياسيّة والعسكريّة إلى الهيمنة الثّقافيّة تحت ستار العولمة والتّبادل بين الثّقافات. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعزّز التّبادل الفكريّ والحوارات الثّقافيّة. وفي نهاية المطاف إن احتضان اللّحظة الحاليّة يمنع الوقوع في التّوقعات الحتميّة، وهو ما ذهب إليه الباحث (محمد بوعزة) في قوله: "فالأجدى للشّعوب النّامية والفقيرة اللّحاق بالرّكب العالمي قبل أن يتمّ فرض العولمة قسرا على المجتمعات"[8]، فلا يمكن تجاهل العولمة، ولا يمكننا التّركيز فقط على الجانب السّلبي، من الضروري الاعتراف بأنّ العولمة تحرّض على التّحولات؛ حيث تلتقي الثّقافات المتنوّعة لبناء إطار ثقافي وإنساني جديد قائم على التّهجين، بهدف تحدّي المعايير السّائدة وتوسيع آفاق المشاريع السّرديّة العربيّة، كلّ ذلك يتم بوعي عدم تجاوز الثّوابت.

1.3. شعريّة الصّورة المرئيّة:

لا تتوقف المحاولات لنحت صياغات جديدة للسّرد الرّحلي، بل تتوالى عمليات خلق أشكال جديدة فيه ما يجدرُ إبرازه في هذا الإطار هو الاهتمام المتزايد بالمستوى البصري لدى الرّحالين العرب المعاصرين بالإحالة إلى الصور سواءً أكانت فوتوغرافيّة أو تشكيليّة، طبعًا فإنّ علاقة الرّحلة مع عنصر الصّورة تبدأُ من عتبة الغلاف.

كما هو معروف، تعدّ الصّور جزءًا لا يتجزأ من الممارسات السّيميائيّة، تؤولُ باعتبارها وعاءً للمعنى وتسرب هذا النهج إلى تضعيف الرّحلة العربيّة؛ إذ استخدمت التّقنيّة في سياق النّزعة العولميّة التي سعت إلى الاستعانة بالتّقنيّات الحديثة لإثراء التّجربة الفنيّة تحت مسمّى التّجريب الرّحلي، لكن هنالك من تعمق أكثر وذهب إلى أنّ ما يغري القارئ أكثر هو استعانة الرّحالة بالصّور الفوتوغرافيّة لتأكيد طبيعتها الشّاهديّة؛ أي كونها ضربًا من الشّاهد على الوقائع الرّحلية المعاشة، فـ: "هي وثيقة لا تنفصل عن المحتوى الرئيسي للرّحلات بل تدعمه وتقوّيه بوظيفتها الدّلاليّة ودلالتها التّمثيليّة، وإذا علمنا أنّ عصرنا هو عصر حضارة الصّورة بامتياز أدركنا خطورة وأهمية توظيفها"[9]، فالكتابة الرّحلية المعاصرة التي تضمن الصورة لا بدّ لها من الاعتماد على الدّلالة اللّفظيّة إلى جانب دلالتها الأيقونية، فهناك "تعالق بينهما ييسّر إنتاج المعنى ويؤمّن الفهم ويضمن التّواصل وتبليغ الإرساليّة"[10]؛ إذ استعانت الرّحلات

المعاصرة بدمج التّصوير الفوتوغرافي كمكوّن أساسي ونشط في سردها بوصفها عنصرًا فاعلًا في المسار العام الذي تقطعه الرّحلة عبر فضاءات مختلفة، لتتحوّل من الجمود إلى محرّك شاهدي محوري للأحداث ما يضفي لبنيتها السّرديّة سمة التّجريبيّة والحداثة، والرّاجح أنّ الصّورة المرئيّة في علاقتها مع بنيّة السّرد الرّحلي تكمن في أخذ المتلقّي إلى خصوصيّة المكان، حيث يألفه ويتابع تفاصيله ويعايش مسار الرّحلة من نقطة الانطلاق إلى نقطة العودة، وبالتّالي يزيد من حيويتها؛ إذ تأتي نقطة التّواصل النّصي بين الرّحلة والصّورة الفوتوغرافيّة من كون الخطاب البصري لا يؤوَل إلّا بالاستناد إلى التّشكيل اللّساني، فالعلاقة التّكامليّة بين الصّورة والنّصّ واضحة، أي أنّ الصّورة والنّصّ يسيران في اتّجاه واحد حيث يعزّز كلّ عنصر الآخر أو يكمّله، غالبًا ما يجد الباحثون في الصّورة داخل الخطاب الأدبي أنفسهم يعودون إلى التّنسيقات اللّفظيّة ممّا يسلّط الضّوء دائما على الطبيعة المتبادلة لعلاقتهم.

ولا يخفى علينا أنّ الرّحالة المعاصر قد يستعين بالخطابات التّعبيريّة البصريّة كوسيلة تعبيريّة اتّصاليّة لتوثيق الأحداث، وهذا ما وجدناه في العديد من الرّحلات العربيّة منها رحلة (القاهرة من أبواب متفرقة) لعبد اللّطيف الوراري، الذي ألحق هذه الرّحلة بملحق للصّور الفوتوغرافيّة التي أخذها في القاهرة، ورحلة (غاوي سفر) لحسام عبد القادر، الذي أشرك نصّه الرّحلي بمختلف الصّور لمختلف المسالك التي جابها، لنضيف رحلة جزائريّة بعنوان (رحلات جزائري في ربوع إفريقيا) لنجم الدّين سيدي عثمان، حيث تلتقي الصّور المرئيّة الفنيّة بالتّجربة الرّحلية داخل قالب محكيّات سرديّة، تسجّل وتعالج القضايا الثّقافيّة والإيديولوجيّة المشهودة في العوالم المتوافد إليها، فمن خلال الفواعل التّعبيريّة التي تحملها الصّور تتجلّى الفواعل الأخرى كتركيز هؤلاء على الصّور الخاصّة بالمعالم الجغرافيّة والثّقافات الماديّة واللّامادية للمناطق، وتصوير الحالات النّفسيّة من خلال اللّغة البصريّة لتحقيق الأفق التّجريبي الرّحلي، فكلّ صورة احتوتها هذه الرّحلات تحمل في كينونتها ثقافة الغير لتؤكّد بذلك فاعليّتها ووظائفها ومؤثّراتها التّعبيريّة والجماليّة، غالبًا ما يساهم دمج هذه التّأثيرات والوظائف في النّصّ الرّحلي في إعادة بعث الأحداث.

ونجد الكثير من الصّور في هذه المدوّنات اهتمّت بالمعالم الجغرافيّة والمباني وكذا النّصب التّذكارية والمدن التّاريخية والأحياء العريقة والمقاهي التي تحمل بين زواياها قصصًا تاريخيّة، والمعابد والمساجد، فيها ما يوضّح صورة الآخر الحضاريّة منها ما عكست النّشاط الاقتصادي والعمراني المتحضّر والنامي، ويمكن أن نلحق بعض الصّور للمدن التي التقطها الرّحالون[11]، كما تسلّط هذه الصّور المرئيّة الضوء على نوعيّة الظّروف المعيشيّة وتطوّرها ومنها ما يدلّ على الفقر والغلبة التي نشأ عليها البلد الإفريقي بالأخص ما صوّره نجم الدين سيدي عثمان من أحياء فقيرة ومخيمات للاجئين، واكتظاظ للمدن[12]، وهي تصوّر الحياة المظلمة لونها الحرمان والبهتان، لا ابتسامة ولا أمل هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ الرّحالين سجّلوا مرورهم من المعالم والمعابد التّاريخية[13]، علاوة على ذلك، فإنّها تؤكّد وتقدّم منظورًا دقيقًا على الأبعاد التّاريخيّة والدّينيّة، وإلى جانب الجزء المعماري المدني نجد أنّهم قد اهتموا بتصوير الطبيعة، فقد نالت قسطًا لا بأس به من الصّور بكل ما تعنيه من بحار، جبال، أرياف[14]، مما لا شكّ عند رؤية مثل هكذا صور نستطيع تقييم هذه المناطق تقييمًا مناسبًا لها إن كانت سياحيّة أو العكس وللمدوّنة نصيب من الصّور الشّخصيّة التي تمّ التقاطها[15]، لتبقى ذكرى للرّحالة وتعكس مدى التّرحاب ودفء الاستقبال الذي لاقوه، وهي

تلعب دورًا محوريًّا في تمكين المتلقّين من تكوين صورة ذهنيّة للشّخصيّات التي تمّت مواجهتها خلال الرّحلة، وتحديد السّمات الفريدة للثّقافات المختلفة، وما إن تأمّلنا كذلك نجد الكثير من الصّور الحصريّة التي كانت بمثابة تجسيد لأحداث الرّحلة المختلفة من تصوير للأحداث العلميّة واللّقاءات الرّسميّة[16]، والمشاهدات العربية التي صادفوها من عادات ماديّة مختلفة.[17]

عند مناقشة هذه التّمثيلات المرئيّة وسماتها المميّزة من الضّروري تسليط الضوء على حيويّتها التي تكمن في سرعة تعبيرها مهما كان فحواها ومهما كانت زاوية التقاطها، على الرّغم من بساطتها فهي تثير في نفس المتلقّي الإثارة والتّشويق، وتلهمه لزيارة المواقع المصوّرة أو الخوض في خلفيتها التّاريخيّة، لتصبح حلقة وصل بين المتلقّي والرّحالة، تُمثّل هذه الحلقة بتعقّب التّجربة الرّحلية وأحداثها بفعل المشاهدة، فالصّور داخل هذه النّصوص قد تحوّلت إلى مشاهد ديناميكيّة ومؤثّرة تأخذ القارئ إلى الجوهر البصري للمكان وإلى ظروف ساكنيه، لاسيما تلك التي تعبّر في كثافتها عن المجتمعات المضطهدة المهمّشة.

يتبيّن لنا في هذه المدونات أنّ الصّورة الفوتوغرافيّة اتُّخذ فيها سبيلان الأول احتضن المشاهد الطبيعيّة ومختلف الأحداث الجامدة ودمجها في حركة السّرد لتنقل مجمل مسار الرّحلة، والثاني احتضن مشاهد حيويّة استندت عادة إلى تصوّر حالة الشّعوب واستقصاء تفاصيلها دون نقل لنا أي حوار مباشر، على الرغم من أنّ هنالك تباعد بين هذه السّبل الدّلاليّة وهو تباين لا يمنع أنّ التّجربة أقرّت بأن تتجاور وتتضافر في تأثيرها على المتلقّي.

وقد حرص الرّحالون على الفصل بين الصّور ومقاطع الرّحلات عبر تقنيّات عدّة من بينها خلق لها مكان بعد كل فصل بدلا من تقسيمها، ومن اختار أن يمدّها بين المقاطع في مظهر أسلوبي يزاوج بين المرئي واللّفظي حيث لا يتوقّعها القارئ، ومن عمد إلى دسّها في نهاية النّصّ في ملحق خاص.

تؤدّي الصّورة في النّصوص دورها الأساسي من حيث اتّسامها ببعض الوظائف، ومع تحديدينا للسّبل في هذه المدونة لا يسعنا إلّا أن نؤكّد على وظيفتين مهمّتين هما التّعبيريّة والجمالية، وإذا أسقطنا النّسبة عليها فإنّنا نقول أنّ رحلة عبد اللّطيف الوراري وعبد القادر حسام تميل أكثر إلى الوظيفة الجماليّة التي تحتضن محتويات عدّة تدبّ فيها الرّوح والنّشاط، وقد امتدّ استخدام هذه الوظيفة الخاصّة ليشمل تصوير الطبيعة، صور الحياة والمدن والأحداث الهامّة وأكثر من ذلك، نعتقد اعتقادًا راسخًا أنّ هذه الوظيفة قد جسّدت بشكل فعّال المبدأ الجمالي الذي يحكم التّفاعل الأدبي بين الصّورة والمتلقّي، وبالتّالي، فإنّ الصّورة قادرة على جذبه وإشراكه بشكل كامل ومستمر مع النّصّ، فإن دمج هذه الوظيفة الجماليّة في النّصّ الرّحلي تسلّط الضّوء على كيفيّة تداخل العناصر السّرديّة بسلاسة مع المحتويات المرئيّة التي تخدم غرضًا جماليًّا، وهذا يدلّ على تشكيل مزيج متناغم بينهما.

وقارئ رحلة (نجم الدّين سيدي عثمان) يجد نفسه أمام رحلة يرتحل في تفاصيل حياتية للشّعوب الإفريقيّة أضحت وعاءً رمزيًا لصور مشبعة بالدلالات المعبّرة خفيّة من جهة وبارزة من جهة أخرى، جسّدت وظيفة تعبيريّة عن ما هو مكنون من مشاعر تتطلّب تفاعل المتلقّي؛ إذ تحكي هذه الصور عن مدى تفاعل الرّحالة مع الأحداث، بحيث أنّه جعل الدّلالة البصريّة توصل المشهد إلى ذهن المتلقّي وتؤثّر فيه بسبب إطارها المعرفي والمرجعي، فنرى نوعية

الصّور التي اتّحدت مع الواقع لتنتج أحداثًا أظهرت لنا خلفيات الفقر والحرمان ومظاهر التّعب والشّقاء، والتي أوقعت القارئ لهذه الرّحلة في التّفكير حول هذه الإيديولوجيات، لينجح بذلك الرّحالة في توظيف الصّورة وفي فكرته المطروحة، وقدرته في إيصال البؤس الخفي للمجتمعات بتوسّله للصّورة الفوتوغرافية فاللّغة البصريّة امتازت بعلامات تعبيريّة جعلت المتلقّي يتفاعل مع التّلميحات الموحية فيها، ما أنتج لغة جديدة ممزوجة بالتّواصليّة والتّعبيريّة.

وفي حدث أخير، لا يعني أنّ الصّور التي تضمّنتها رحلات الوراري وعبد القادر حسام لا تحمل في مشهدها الرّحلي وظيفة تعبيريّة بل العكس، كانت تعكس لقاء الأحبّة والمجالس العلميّة واحتفاء الشّعوب بهم وكذا عبّرت عن الفرح بينما كان النّاس مجتمعين يتحاورون من خلال تعابير الأوجه التي أظهرتها هذه الصور، وبقدر ما كانت جماليّة بقدر ما أخذت أهميّة تاريخيّة ووثائقيّة لجميع الصّور التي تمّ إدراجها في كلّ المدوّنات؛ لأنّ أي صورة تمّت إضافتها في النّصّ لا يمكن الاستهانة بها كونها تعدّ تشكيلًا بصريًّا يحمل في ثناياه العديد من الوظائف والخصائص، وأنّ ما تطرحه من جدليّة بين البصري واللّفظي، تستدرج المتلقّي إلى الغوص أكثر في دهاليز الرّحلة وإقامة علاقة تشاركيّة معها، كون الرّحالة المعاصر أظهر قدرة ذوقيّة في اختيار الصّور المدرجة لتكون موافقة للقضايا والموضوعات السّائدة.

2.3. أدبيّة المحتوى السّياحي:

تعمل الأفلام الوثائقية كوسيلة للتّرويج للسّياحة في مناطق مختلفة، ولكن بسبب التّقدم التكنولوجي ظهر هناك نوع جديد ألا وهو مدونات فيديو السفر والارتحال التي أنشأها الشباب الهواة، تسعى إلى التّعريف بأهمّ المناطق السياحيّة، حيث يسافر مدوّنو الفيديو إلى أماكن محدّدة ويصوّر أهمّ معالمه السّياحية مع تقديم السّياق التّاريخي الخاص به وكيفية الوصول إليه، لنقل تجربته للمشاهدين وتشجيعهم على زيارته من خلال عمل محتوى رحلي يتمّ عرضه في مختلف القنوات الالكترونية، باعتبارها أكبر المنصّات التي يستخدمها الجيل الحالي أهمها مواقع التّواصل الاجتماعي (يوتيوب، فايسبوك، انستغرام)؛ إذ نشهد أنّ "هناك علاقة قويّة بين مدوّنة الفيديو والسّياحة حيث إنّ وجود مدوّنة فيديو ذات موضوعات سياحيّة يجعل من الممكن أن تكون إحدى الطرق لتعزيز الثّقافة المحليّة للمكان... وهنا يأتي دور مدوّني الفيديو لاقتراح محتوى جيّد مع المعلومات الصّحيحة وإظهار جميع التّفاصيل التي يحتاجها المشاهدون مثل النّقل والطّعام والفنادق ومناطق الجذب السّياحي"[18]، تشبه مدوّنات الفيديو أو المحتوى السياحي كثيرا المدونات الرّحلية باختلاف أزمنتها، ولكنّها ترتكز على تقنية الفيديو بشكل أساسي؛ حيث يصوّر النّاس أنشطتهم اليوميّة أو مغامراتهم إلى وجهات مختلفة، وهو نفس الهدف الذي يسعى له الرّحالة بتقديم المعلومات عبر تجاربه الشّخصية المسجّلة لاكتساب فهم شامل للوجهة التي اختاروها، وهنا يلعب مدونو الفيديو دورًا مشابهًا من خلال تنظيم محتوى جذّاب لإظهار جميع التّفاصيل التي يحتاجها المشاهدون، من الواضح أنّ المحتويات السيّاحيّة قد مهّدت الطّريق لبعد جديد في أدب الرّحلة، وهي ظاهرة تستحقّ اهتمامًا خاصا لنهجها المبتكر لمشاركة تجارب الارتحال والسّفر مع جمهور معولم، لأنّها تقدم أسلوبًا جديدًا في تجربة المشاهدة للجمهور وتختلف عن أنواع الفيديو الأخرى[19].

كما أنّ زوايا الكاميرا في رحلات اليوم قد غيّبت القلم، في حين كانت العديد من الرحلات في الماضي تعبّر عن جهد فردي بحت، فإنّ رحلات هذه الأيام والبرامج ذات الصّلة هي جهد جماعي لافت، في حين كانت مخاطر الرّحلات الموثّقة في التاريخ البعيد تتعلق بقطّاع الطّرق، ودهاليز اللّيل الحالك، تكمن مخاطر الرّحلات المعاصرة بشجاعة مزوّد المحتوى واستعداده لمواجهة المعقول واللامعقول، ربّما اختلفت روح الرّحلة اعتمادًا على دوافعها وأغراض التّرحال تغيّرت؛ إذ حمل جزء كبير منها أبعادا استكشافية تشويقيّة، بعدما كان البعد الدّيني في مطلع أغراض الرّحلة القديمة إلى جانب طلب العلم والمعرفة.

من أجل إنشاء فهم أكثر عمقًا والتّأكيد على العلاقة بين أدب الرّحلة والمحتوى السّياحي، ولما لا يكون هذا الأخير تطوّرًا للأوّل متأثّرًا بسياقات العولمة، فكيف تمّ التعبير عن المناطق السياحيّة من خلال المحتوى السّياحي؟ ما هي الخصائص المشتركة بينه وبين المدوّنات الرّحلية الكتابيّة؟ في سياق الإجابة عن هذا الأسئلة، تحضر في البال برامج كثيرة تبنّتها هذه الأيام عديد الفضائيات العربيّة، من مثل: "على خطى الرّحّالة"، سيرًا على الأقدام، و"المسافر"، ومختلف المحتويات السّياحيّة عبر العالم بمختلف اللّغات منها؛ مدوّنات السّفر عن Romblon، خبيب كواس، نور الإبراهيمي، القطري علي بن طوار... وغيرهم كثيرون.

في سياق متّصل، تعدّ المدوّنات السّياحيّة للشابّ الجزائري خبيب من أكثر برامج التّرحال المعاصرة ملامسة لروح التّرحال القديم، يتضمّن الأخبار الثّقافية عن عادات النّاس في المكان، وأهمّ مساجدهم، ومعالمهم وقصورهم، وفيه تأمّل وحوار وبتركيز أكبر وبقراءة شاملة، فإنّ خبيب يرفع التحدي ليعاين حواضر المدن وتاريخ البلدان في نواحيه المختلفة لدروب اختلفت أسبابها، وقد اخترنا من قناة khoubai[20] على يوتيوب مدونة: **حقيقة أجمل مدن الجزائر– غرداية**/ Algeria's Most Beautiful City، لتكون محلّ دراستنا.

1.2.3. تحليل مدوّنة سفر غرداية[21]:

يعكس الفيديو محلّ الدّراسة، جانبًا سياحيًّا يتميّز بالدّقة والملاحظة والعرض الموضوعاتي السّردي، وهي مدوّنة من سلسلة الفيديوهات عن صحراء الجزائر ركّز فيها على الأماكن المهمّشة التي لم يتمّ إظهارها للنّاس محاولا من خلالها التّرويج لمدينة غرداية من منظور هادف يعتمد على الوسائط الرّقمية والمؤثّرات الصّوتية والمرئيّة في قالب ممتع ومثير للاهتمام.

استغرقت مدوّنة الفيديو لخبيب حوالي 18:38دقيقة، حاول أن يختصر كميّة المعرفة والعديد من الأحداث والمعالم بطريقة مميّزة تجعل المحتوى مختلفًا عمّا تمّ إنشاؤه سابقًا، تعكس وجهة نظر خبيب في التّرويج للمنطقة مراعيًّا في ذلك الجوانب التّاريخية والثقافيّة الماديّة واللامادية، وليقدّم صورة واضحة عن المدينة استهلّ مدوّنته بملخص تمّ اعتباره ككلمات رئيسية لتقديم نظرة عامة على أهمّ النّقاط التي يستند إليها العمل، فيها حاول إعطاء خلفية تاريخيّة موجزة عن غرداية كونها من أقدم المدن في الجزائر، التي تمثّل الأصالة والحضارة وصفها بلؤلؤة في وسط الصحراء، مدينة بنيت في القرن الحادي عشر ميلادي، ركّز تصويره في غرداية على شوارع المنطقة حيث أظهر جمال هذه المدينة وخلفيّتها التّاريخية، وأظهر المباني والطّرق القديمة؛ وحاول التّصوير في سوق المنطقة بالاعتماد على التّصوير البطيء

في بعض الأحيان وأحيانًا أخرى مع التّصوير السّريع الحركة لجذب المشاهدين، وفي عرضه السّردي ركّز على النّمط المعماري الخاص بها كأنّها خليّة نحل، هي بناء خاص تمّ إنشاؤه من طرف سكان المنطقة، وقد زاوج في طرحه بين الماضي والحاضر ليؤكّد بذلك أنّ هذه المنطقة لازالت محافظة على خصوصيّتها حتى لو تقدم بها الزّمن، من الجانب الاجتماعي للمنطقة عبّر عن حفاوة السّكان وأكّد محافظتهم على الدين وعلى عاداتهم وتقاليدهم واحترامهم للجيرة، كما أكّد منح النساء خصوصيتهن بوضع نظام التّجوال لهن بأريحية، ومشيرا بذلك أنّ ثقافة المجتمع المزابي الغرداوي لا تسمح لبناتهم الزواج من خارج منطقتهم، وعلى العكس من ذلك يمكن للرّجل أن يتزوّج من خارج منطقته من أجل ضمان توسيع العائلة، هنا في هذه اللّقطة تحديدًا في الدّقيقة 13:00 حرص على ربط وظيفي علائقي بين هذه العادة ومطابقتها مع سكان منطقة شياشان.

يبدأ خبيب رحلته في استكشاف مدينة غرداية بسؤال السّكان المحليّين عن مناطق الجذب فيها، حيث لم يكن على دراية بها؛ إذ يتضمن أسلوبه غير المكتوب التّفاعل معهم لاكتشاف المواقع السيّاحية البارزة في المدينة، محاولا إبراز لهجة المنطقة المتميّزة، وهذا دال على مدى واقعيّة هذا الفيديو لأنّه لم يتم إعداده من قبل بأيّ شكل من الأشكال، يسعى كذلك إلى تعريف المشاهدين بالمواقع الشّهيرة في غرداية مثل المسجد العتيق في المنطقة، وقصر بن يزقن، قصر مليكة، قصر بونورة، ويظهرها من الداخل بتفاصيلها وميزاتها المعمارية مصحوبة بتأثيرات صوتيّة خاصة بالمنطقة، ما أضفى لها بعدا جماليا.

بالنّسبة للجانب الثّقافي لمدينة غرداية، أظهره خبيب من خلال التّصوير بكاميرا متحركة مع لقطات كبيرة ومتوسطة بعض الزخارف التّقليديّة مثل "السّجادة، الحلي،اللّباس التّقليدي"، وكذلك مشروب "ماء الحلو" التّقليدي، بالإضافة إلى السّوق الشّعبي حيث يبيعون أشياء تقليديّة مختلفة، مستعينًا دائمًا في نقل المعلومة من مجموعة من السّكان المحليين المتخصّصين، لتُمنح له معلومات دقيقة عن الأمكنة الخاصة بالمنطقة.

في لقطة جديدة، يتعامل خبيب مع الزوار الأجانب لجمع انطباعاتهم عن المنطقة متحدثًا معهم باللّغة الانجليزية، ولا ننسى أنّ المدوّنة استندت على تراكيب لغويّة مستمدة من بيئة المدوّن والمتلقّي؛ إذ كان يتناوب بين اللّهجة الجزائريّة واللّغة العربيّة، أولًا لتشجيع السّياحة الدّاخلية وليكون المحتوى في متناول الجمهور الذي يتقاسم معه المرجعيات اللّغويّة من خلال المزاوجة بينهما، مستعملًا اللّغة المكتوبة على مدار الفيديو ترجمة باللّغة العربية الفصحى ليتمكّن المتابع من مختلف المناطق من فهم اللّهجة، وليكون بذلك العربي هو المستهدف الأول من المحتوى، وقد ظهرت التّرجمة على شكل شريط أسود في أسفل الشّاشة عندما يحدّد ويشرح تفاصيل كلّ مكان، لضمان الوضوح للجماهير المحلية والدّولية على حدّ سواء، وهذا قد يشجعهم على استكشاف نفس الوجهات التي زارها، ويساعد على توسيع نطاق المحتوى.

ومن أجل بناء علاقة وثيقة بينه وبين المتلقي، حاول خبيب استخدام التّفاعل الشّخصي كأسلوب سردي في نهاية الفيديو للتّأثير في المشاهد المحلي، بطريقة سؤال وجواب، كاستراتيجية ترويجيّة خاصة منه عن فكرة تحسين المعمار وتخصيص لكل منطقة تصميم خاص بها، بطريقة توقظ أذهان المحليين لتحسين السّياحة ومن أمثلة ذلك

قوله: "... فيكون للمدن السّاحلية نمطهم الخاص، وللمدن الصحراوية نمطهم الخاص، وتتميّز كلّ واحدة منهم بتصميمها الخاص، هل نستطيع تطبيقها؟ أكيد نستطيع، الأمر سهل"، إضافة إلى تفاعله مع المواقف المختلفة من انفعالات هادئة عن طريق لغة الجسد لتمرير الحماس ومشاعر الإثارة والتّشويق وكل الأحاسيس التي ترتبط بشكل عام بالتّجربة الرّحلية للمدوّن، وهي الطّريقة التي تمايز بها خبيب عن غيره في إنشاء محتوياته الرّحلية.

بشكل عام، تمكّن خبيب من تقديم انطباع إيجابي عن الجزائر، واستخدم طريقة التّصوير الفوتوغرافي جنبًا إلى جنب مع اللّغة والرّواية، يشير هذا إلى أنّ المحتوى السّياحي مرتبط بشكل أو بآخر بأدب الرّحلة المعاصر نظرًا لحقيقة أنّ هذا الأخير يعمل كنصّ منفتح على جميع الخطابات، من المهم ملاحظة أنّ هذا لا يعني أن هذه المحتويات تتمتّع بنفس جودة مدوّنات الرّحلة العربيّة، ولكنّها على الأقل تعتمد على الأساليب والعناصر الأساسيّة لأدب الرّحلة؛ كتصوير الواقع كما هو بلغة محكيّة دون تغيير أي شيء عنه بإيجابياته وسلبياته، وبالتّالي يمكن القول؛ إنّ المحتوى السّياحي يمثّل اتّجاهًا جديدا للنّصوص الرّحلية، وهي في تطور مستمر مما يزيد من جودة أدبيّة الرّحلة.

4. خاتمة:

بناءً على ما سبق، نستطيع القول أنّ هذه الدّراسة سعت إلى الكشف عن تمظهرات التّجريب الرّحلي المعاصر، وتنوّعت مصادرها بين المدوّنات الورقيّة المعاصرة التي حاولت الإفادة بالصّورة المرئيّة باعتبارها صناعة ثقافيّة بامتياز، وهي نتاج آلي للوضع المعولم القائم على التّجريب كتمظهر معاصر لأدب الرّحلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ التّجربة الرّحلية استفادت من الخصوصية الرّقمية عبر الوسائط ومواقع التّواصل الاجتماعي باعتباره يقدّم فلسفة جديدة للارتحال، أصبح يتجلّى عبر معطيات العصر بعيدًا عن التّقانة الكتابية لينتقل إلى عالم الميديا، عالم أوسع يسجّل ويوثّق الرّحالة سفره بفيديوهات تحت مسمى المحتوى السّياحي، وما يحقق أدبيته هو الهدف المنشود منه، وهو التّعرف على الآخر وإشراك القارئ، ولأنّ التّجريب الرّحلي اشتركت فيه الكتابة والوسائط فقد تعدّدت صفات المتلقّين له وحيوية التّفاعل مع هكذا نصوص، وهو ما يؤكد دينامكية النّص الرّحلي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر:

- عبد القادر حسام، (2019)، غاوي سفر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1.
- نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، الجزائر، دار الأمة ، ط1.
- الوراري عيد اللطيف، (2019)، القاهرة من أبواب متفرقة، المملكة المغربية، دار التوحيدي، ط1.

2/ المراجع:

- الخراط، إدوارد، (1993م)، الحساسية الجديدة: مقالات في الظاهرة القصصية، بيروت، دار الآداب.
- العلوي، سعيد بنسعيد، (1995م)، أوروبا في مرآة الرحلة، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- بال، فرتسيس، تر: فؤاد شاهين، (2008م)، الميديا، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1.

- براجل، علي، (2007م)، العولمة وإشكالية التربية في العالم العربي والإسلامي ، المغرب، مجلة عالم التربية، عدد 17.
- برادة، محمد، (2011م) الرواية العربية ورهانات التجديد، دبي، دار الصدى، ط1.
- بنحادة، عبد الرحيم، (2008م) الرحلة والغيرية، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،.
- بوعزة، محمد، (2014م) سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ،الجزائر– بيروت، منشورات ضفاف، الاختلاف، ط1.
- ذاكر، عبد النبي، (2005م)، الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والبلاد الروسية، أبو ظبي، دار السويدي، ط 1.
- ثروت محمد ناصب، سعادة، (2022م) اللسانيات التواصلية وأدب الرحلات الرقمية (تحفة النظارة في عجائب الإمارة نموذجا)، جامعة بورسعيد مجلة كلية الآداب.
- Achour, Hana, Algerian tourism through the travel vlogs Analysis study of Nour Brahimi's travel vlogs, (2022), Algeriq, Oum El Bouaghi's University, International Journal of Social Communication, VOL: 09, N°: 02.
- Zhang; Hanshi, Analysis on Vlog Story-telling Techniques and Advertisement, Proceedings of the 2020 3rd International Conference on Humanities Education and Social Sciences, volume 496, Atlantis Press.

الهوامش والإحالات:

[1] العلوي، سعيد بنسعيد، (1995م)، أوروبا في مرآة الرحلة، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 50.

[2] بنحادة، عبد الرحيم، (2008م) الرحلة والغيرية، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 07.

[3] برادة، محمد، (2011م) الرواية العربية ورهانات التجديد، دبي، دار الصدى، ط1، ص 48.

[4] الخراط، إدوارد، (1993م)،الحساسية الجديدة: مقالات في الظاهرة القصصية، بيروت، دار الآداب، ص 21.

[5] بال، فرتسيس، تر: فؤاد شاهين، (2008م)، الميديا، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، ص 51.

[6] ثروت محمد ناصب، سعادة، (2022م) اللسانيات التواصلية وأدب الرحلات الرقمية (تحفة النظارة في عجائب الإمارة نموذجا)، جامعة بورسعيد، مجلة كلية الآداب، عدد 19، ص 163-164.

[7] براجل، علي، (2007م)، العولمة و إشكالية التربية في العالم العربي و الإسلامي ، المغرب، مجلة عالم التربية، عدد 17 ،ص 322.

[8] بوعزة، محمد، (2014م) سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، الجزائر–بيروت، منشورات ضفاف– الاختلاف، ط1، ص49.

[9] ذاكر، عبد النبي، (2005م)، الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والبلاد الروسية ، أبو ظبي، دار السويدي ، ط 1.، ص 288 .

[10] المرجع نفسه، ص 288.

[11] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، الجزائر، دار الأمة، ط1، ص 76، 150، الوراري عبد اللطيف، (2019)، القاهرة من أبواب متفرقة، المملكة المغربية، دار التوحيدي، ط1، ص 122، 121، 109. عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، ص 138، 138، ...

[12] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، ص 109، 138، 178،.201، 153، ..124

[13] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، ص231، الوراري عيد اللطيف، (2019)، القاهرة من أبواب متفرقة، ص 109، 124، 126، 127... ، عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، ص 67، 68، 69.

[14] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا،ص 115، عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، ص 70، 166، 167،..

[15] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، ص 25، 91، 132، 124، الوراري عيد اللطيف، (2019)، القاهرة من أبواب متفرقة، ص 111، 113،117، 129... ، عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، ص 67، 139، 141،...

[16] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، ص 39، 40، 41،140، الوراري عبد اللطيف، (2019)، القاهرة من أبواب متفرقة، ص 115،

[17]ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نجم الدين سيدي عثمان (2017)، رحلات جزائري في ربوع إفريقيا، ص 66، 78، 203، 169،.. عبد القادر حسام، (2019) ، غاوي سفر، ص 68، 69 ، 146،166.

[18] Achour, Hana, Algerian tourism through the travel vlogs Analysis study of Nour Brahimi's travel vlogs, (2022), Algeriq, Oum El Bouaghi's University, International Journal of Social Communication, VOL: 09, N°: 02, p 730.

[19] Zhang; Hanshi, Analysis on Vlog Story-telling Techniques and Advertisement, Proceedings of the 2020 3rd International Conference on Humanities Education and Social Sciences, volume 496, Atlantis Press, p 69.

[20] خابي كوس رحالة جزائري من مدينة قسنطينة، يمثل نفسه عبر قناته على يوتيوب كمنشئ محتوى ومخرج أفلام يشارك شغفه في السفر والمغامرات، من خلال حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي لإلهام وتحفيز الناس على عيش شغفهم. زار بلدانًا مختلفة مثل تركيا، أذربيجان، باكستان، روسيا، قطر، ومختلف البلدان الإفريقية، وكان مروجا لبلاده الجزائر، وقام بعمل مدونات فيديو للسفر حول كل بلد، كما أنه حاز على أفضل صانع محتوى في العالم عام 2022.

[21] موقع اليوتيوب، قناة Khoubai، حقيقة أجمل مدن الجزائر- غرداية/Algeria's Most Beautiful City، سلسلة صحراؤنا جنة، 14 مارس 2024، https://www.youtube.com/watch?v=0HtvKywtZe0